



## مقدمة:

عزيزٌ على النفس الكريمة المؤمنة أن ترى مسكنيناً بليت ثيابه حتى تكاد تُرى عورته، أو تبصر حافي القدمين أدمت حجارة الأرض أصابعه وقطعت عقبيه، أو تلحظ جائعاً يمْدُ عينيه إلى شيءٍ غيره فينقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسير. حين تفشو مثل هذه الأحوال، ثم لا يكتثر الفادرون، ولا يهتم الموسرون فكيف يكون الحال؟ وأين وازع الإيمان؟!

## 1- خلق الله المعروف وخلق له أهلاً

فقد جرت سنة الله تبارك وتعالى في البشر أن جعل بعضهم البعض سُخرياً، لا تتم لهم سعادتهم إلا بالتعاون والتواصل، ولا تستقر حياتهم إلا بالتعاطف وفشو المودة، يرفق القويُّ بالضعف، ويُحسن المكثر على المقلِّ، ولا يكون الشقاء ولا يتحقق البلاء إلا حين يفشو في الناس التقاطع والتدابر، ولا يعرفون إلا أنفسهم، ولا يعترفون لغيرهم بحق.

إنَّ الله برحمته حين خلق المعروف خلق له أهلاً، فحبَّبه إليهم، وحَبَّب إليهم إسداءه، وجَهَّهم إليه كما وجَّه الماء إلى الأرض الميتة فتحيا به ويحيا به أهلها، وإن الله إذا أراد بعده خيراً جعل قضاء حوائج الناس على يديه، ومن كثرة نعم الله عليه كثُر تعلق الناس به، فإن قام بما يجب عليه لله فيها فقد شكرها وحافظ عليها، وإن قصرَ وملَّ وتبرَّم فقد عرَّضها للزوال ثم انصرفت وجوه الناس عنه.

وقد ورد في الحديث: (إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَاماً اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنْافِعِ عِبَادِهِ يَقْرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ وَحَولَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ)

وعن ابن عباس رضي الله عنهم مرفوعاً: (ما من عبد أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً وَأَسْبَغَهَا عَلَيْهِ ثُمَّ جَعَلَ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَتَبَرَّمَ فَقَدْ عَرَّضَ تَلْكَ النِّعْمَةَ لِلزِّوَالِ)

## 2- الجزء من جنس العمل

إن في دين الله شرائع محكمةً لتحقيق التواصل والترابط، تربى النفوس على الخير، وترشد إلى بذل المساعدات وصنائع المعروف.

ففي الخبر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: (من نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كَرِبَةً مِنْ كَرْبَلَةِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرِبَةً مِنْ كَرْبَلَةِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَرَّ عَلَى مَعْسِرٍ يُسَرِّ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنَى الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنَى أَخِيهِ)

وفي الصحيحين أيضاً: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يُظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كَرِبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كَرِبَةً مِنْ كَرْبَلَةِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ولِعَظَمِ الْأَمْرِ وَدِقَّتِهِ فَقَدْ قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: إِنْ تَفْرِيْجَ الْكَرُوبِ أَعْظَمُ مِنْ تَنْفِيْسِهَا؛ إِذَا التَّفْرِيْجُ إِزْالَتْهَا، أَمَّا التَّنْفِيْسُ فَهُوَ تَخْفِيفُهَا، وَالْجَزَاءُ مِنْ جَنْسِ الْعَمَلِ، فَمَنْ فَرَّجَ كَرِبَةً أَخِيهِ فَرَّجَ اللَّهُ كَرِبَتَهُ، وَالْتَّنْفِيْسُ جَزَاؤُهُ تَنْفِيْسٌ مِثْلُهُ.

والتيسيير على المعسر في الدنيا جزأه التيسير من عسر يوم القيمة، وحسبيك في يوم قال فيه رب العزة: **{فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ \* عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٌ}** [المدثر 9-10]

وقال سبحانه: **{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا \* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا \***

**إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا \* فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَاهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا \***

**وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا}** [الإنسان 9 - 12]

وفي صحيح مسلم: (من سرَّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيمة فلينفس عن معسر أو يضع عنه) (من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله)

والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً. وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعباده. وصنائع المعروف تقي مصارع السوء. ولقد قال بعض الحكماء: أعظم المصائب أن تقدر على المعروف ثم لا تصنعه. والغبطة في من يسر الله له خدمة الناس وأعانته على السعي في مصالحهم.

### 3- كثرة طرق الخير وسهولتها:

إن دروب الخير كثيرة وحوائج الناس متنوعة؛ إطعام جائع، وكسوة عاري.. عيادة مريض، وتعليم جاهل.. وإنظار معسر، وإعانة عاجز، وإسعاف منقطع.. تطرد عن أخيك هماً، وتزيل عنه غماً.. تكفل يتيمًا، وتواسي أرملة.. تكرم عزيز قوم ذل، وتشكر على الإحسان، وتغفر الإساءة.. تسعى في شفاعة حسنة تفك بها أسيراً، وتحقن بها دماً، وتجرب بها معروفاً وإحساناً.

كل ذلك تكافل في المنافع وتضامن في التخفيف من المتاعب.. وتأمين عند المخاوف، وإصلاح بين المتخصصين، وهداية ابن السبيل. فإن كنت لا تملك هذا ولا هذا فادفع بكلمة طيبة وإلا.. فكفار أذاك عن الناس.

أخرج الترمذى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماتتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراجك من دلوك في دلو أخيك صدقة)

نعم أيها الإخوة: كل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة. والصدقة تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، والمال إن لم تصنع به معروفاً أو تقضي به حاجة وتدخل لك به أجراً فما هو إلا لوارث أو لحادث، وصنائع البر والإحسان تستعبد بها القلوب.

والشحيم البخيل كالح الوجه يعيش في الدنيا عيشة الفقراء ويحاسب يوم القيمة حساب الأغنياء، فلا تكن أيها المؤسر القادر خازناً لغيرك.

- إن صفو العيش لا يدوم، وإن متاعب الحياة وأرzaها ليست حكراً على قوم دون قوم، وإن حساب الآخرة لعسير، وخذلان المسلم شيء عظيم.

وال المسلمين هانوا أفراداً وهانوا أمماً حين ضعفت فيهم أواصر الأخوة، ووهبت فيهم حبال المودة، عندما تستحكم الأنانيات وتستغل المسالك على أصحاب الضوابق.

بل إن بعض غلاظ الأكباد وقصاء القلوب ينظرون إلى الضعف والحتاج وكأنه قد في العين.. يزلقوه بأبصارهم في نظرات كلها اشمئزاز واحتقار، لا يعتبر هؤلاء بأقowa دار عليهم الزمان وعدت عليهم العوادي، واجتاحتهم صروف الليالي... فاستدار عزهم ذلاً، وغناهم فقرأ، ونعيمهم جحيناً؟

إن ميادين الخير متنوعة المصادر والموارد ، وأعمال البر مختلفة المسارب والمسارب ، و للمعروف صنائع تقي سوء المصادر، ومن استطاع استكثار قبل التحويل ، واستبسط استعداداً للرحيل، لكن من استقل مع المداومة فاز، ومن داوم

وصبر وصابر جاز ، والله صاحب الفضل أولًا وآخرًا ، وظاهرًا وباطنا ، وهذا عمل قليل لكنه بالتوحيد لله والتمجيد مع إخلاص النية إنه لعظيم وكثير.

#### 4- نماذج حية:

هذا رجل لا كالرجال، إنه خَبِرَ فألزم نفسه - ومن يصبر يصبره الله - ، إنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه أبو ذر رضي الله عنه، دخل عليه رجل من أهل الشام وهو يوقد تحت قدر من حطب قد أصابه مطر ودموعه تسيل، فقالت امرأته: قد كان لك عن هذا مندوحة لو شئت لكتفيت، فقال أبو ذر: وهذا عيشي فإن رضيت وإلا فتحت كنف الله. قال: فكأنما ألقها حgra، حتى إذا نضج ما في قدره جاء بصفة له، فكسر فيها خُبْزَةً له غليظة، ثم جاء بالذى في القدر فكدره عليه، ثم جاء به إلى امرأته، ثم قال لي: أدن، فأكلنا، ثم أمر جاريته أن تسقينا مذقةً من لبن معز له، فقلت: يا أبي ذر: لو اتخذت في بيتك شيئاً، فقال يا عبد الله: أتريد لي من الحساب أكثر من هذا، أليس هذا مثلاً نفترشه، وعباءة نبتسها، وكساءاً نلبسه، وبرمة نطبح فيها، وصفحةً نأكل فيها، ونفسل فيها روؤسنا، وقدحاً نشرب فيه، وعكةً فيها زيت أو سمن، وغرارةً فيها دقيق، فترى لي من الحساب أكثر من هذا؟

قلت: فأين عطاوك أربع مئة دينار، وأنت في شرف من العطاء، فأين يذهب؟

قال: أما إني لن أُعَمِّي عليك، لي في هذه القرية ثلاثون فرسان فإذا خرج عطائى اشتريت لها علفاً، وأرزاها لمن يقوم عليها، ونفقة لأهلي، فإن بقي منه شيء اشتريت به فلوساً فجعلته عند نبطيها هنا، فإن احتاج أهلي إلى لحم أخذوا منه، وإن احتاجوا إلى شيء أخذوا منه، ثم أحمل عليها في سبيل الله، فهذا سبيل عطائى ليس عند أبي ذر دينار ولا درهم طوبى لمن أقبل على دخائل النفس فزكاها، والويل لمن عظم نفسه فدساها، فالنفس بذكر الله قوامها ومحنتها، والاسترSال في مرضاتها يهلك من سعي في هواها، والمؤمن مرآة أخيه المؤمن، كيف أنت من أخيك وكيف أخوك منك هو مكانك عند الله، فمن كان من أهله فله الإكرام، ومن لم يكن فله ما للثام، فإياي وإياكم إلا من الخير، والصبر الصبر فهو بلا ريب مفتاح الجنان، ومرضاة الرحمن، وفقنا الله لصالح القول والعمل، وجنبنا الخطأ والزلل.

رجل آخر من الصحابة رضي الله عنهم، فقد روى الطبراني في الكبير عن عَوْنَ بن عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ لِأَبِي الْيَسَرِ عَلَى رَجُلٍ دَيْنَ فَأَتَاهُ يَتَقَاضَاهُ فِي أَهْلِهِ، فَقَالَ لِجَارِيَةٍ: لَيْسَ هُوَ هُنَا، فَسَمِعَ صَوْتَهُ، فَقَالَ: أَخْرُجْ قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟، قَالَ: الْعُسْرَةُ، قَالَ: اللَّهُ، قَالَ: اذْهَبْ فَلَكَ مَا عَلَيْكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، كَانَ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ كَنْفِ اللَّهِ"

1 - الطبراني في الكبير / 13925، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيرة.

2 - الطبراني في الأوسط / 7559، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

3 - مسلم / 2699

4 - البخاري / 2442، ومسلم / 2580

5 - مسلم / 1563

6 - مسلم / 3006

7 - الترمذى / 1956، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

8 - الزهد والرقائق لابن المبارك / 589

9 - الطبراني في المعجم الكبير / 5022

المصادر: